ISSN : 2543-3938 - EISSN : 2602-7771

التناص الديني في شعر عز الدين ميهوبي

Religious Intertextuality in the Poetry of AzzedineMihoubi

بليردوح ثليثة

جامعة أم البواقي (الجزائر)، discourd19@gmail.com

تاريخ الإستلام: 15/ 01/ 2022 **تاريخ القبول**: 17/ 05/ 2022 **تاريخ النشر**: 14/ 06/ 2022

ملخص:

تحمل النصوص الشعرية عند أي شاعر، في طياتها علاقات تفاعلية مع نصوص سابقة، إلا أنها تختلف في كيفية تقديمها، وهنا تكمن قيمتها وتميزها ، حيث تحدث للشاعر تراكمات في ضوئها ينمي قدرته الإبداعية التي تتشكل من مرجعيات وروافد متعددة، فنجده ينهل من مصادر شتى لترسبات ثقافات وتيارات فكرية متنوعة، تتقاطع فيما بينها وتتناص مع أفكاره، ويعتبر التناص الديني وبالتحديد مع القرآن الكريم من أكثر أنواع التناص حضورا في شعرعز الدين ميهوبي وعليه نروم في هذه الورقة البحثية إلى إبراز مدى تمظهر هذا النوع من التناص في شعر ميهوبي. وإلى أي مدى وفق في توظيفه.

الكلمات المفتاحية: التناص، النص، الشعر،الخطاب، الديني

***

Abstract:

Poetic texts hold for any poet, in their interactive relations with previous text. However, they differ in way it has been presented. Hence, here, it lies its value and distinction, where accumulations occur to the poet through which he develops his creative ability, which is formed from various references and tributaries, so that he accesses from various sources of deposits, cultures and intellectual streams.Intersecting with each other and intersecting with his ideas. Relgious intertextuality is considered, precisely with the Holy Quran, amongst multiple types of of intertextuality presented in AzzdineMihoubi's poetry. Therefore, we seek in this research paper to show to what extent this type of intertextuality is manifested in Mihoubi's poetry. Also, to what extent he succeeded in doing so.

Keywords: *: Intertextuality , Text, Poetry,ReligiousDiscours*

مقدمة

لا يمكن تصور نص ينشئه صاحبه من درجة الصمت، فالنص يستقي أشياء كثيرة من تجارب الشاعر بالإضافة إلى تناصات أخرى مقتبسة عمدا أو عفوا من نصوص سابقة أو موازية لنصوصه ف «أجمل الأشياء وأنبل العواطف، وأعظم المواقف لا تشكل أثرا فنيا إذا نقلت نقلا، فإذا أبهرتنا مقولة لم تكن عظمتها متولدة من فنيتها بل من خصائصها التي تم نقلها (سعيد، 1989 ، صفحة 16)

فالتناص ظاهرة تعطي للنص قيمة مضاعفة، حيث تمكيننا من قراءته باستدعاء نصوص غائبة يستدعيها الكاتب من رصيد خزَّنته ذاكرته المثقلة بالمعاني والإيحاءات والدوال عبرالأزمنة والأمكنة تتعانق وتتعالق معه يتم تذويبها وإعادة صياغتها فتتولد بذلك دلالات جديدة مختلفة عن دلالاتها السابقة فيتحقق النص من خلالها، حيث إن «النص عبارة عن نسيج من الملصقات والتطعيمات، إنه لعبة منفتحة ومغلقة في الوقت ذاته، ولهذا السبب، فمن المحال أن تكتشف النسب الوحيد للنص، ذلك أنه ليس له أب واحد أو أصل واحد، بل مجموعة من الأصول والأنساب...» (كيوان، 2009، صفحة 20)

ويعتر التناص مع القرآن الكريم طريقة مألوفة في الكتابة الشعرية وبها تبرز شاعرية وبلاغة الكاتب، الذي يثري نصه بتلك الدلالات الرفيعة والمعاني القوية المشحونة بالإعجاز والصيغ والتراكيب المتجددة القادرة على «الانتقال بالنّص من العقم، والإنتاجية إلا نص مليء بالتجارب، والحقائق، نص منفتح على آفاق علوية مشرقة مكتنزة برؤى متعددة الانفتاح الدلالي» (الدهون، 2005، صفحة 119)

فما مدى تمظهر هذا النوع من التناص في شعر عز الدين ميهوبي؟

أولا: التناص المفهوم والنشأة

ظهر مفهوم التناص (Intertextualité) في الدراسات النقدية المعاصرة، عندما راح النقاد يدرسون علاقات التأثير بين الآداب العالمية ويقارنون بينها فيما يعرف بالأدب المقارن وقد تبلور مفهومه في بادئ الأمر عند المدرسة الشكلانية الروسية وبالضبط مع شلوفسكي الذي فتق الفكرة تحت اسم الحوارية) (Dialogisme ، ثم أخذها عنه باختين وحولها إلى نظرية حقيقة تعتمد على التداخل القائم بين النصوص ، يقول غريماس: «كان الباحث السيميولوجي الروسي باختين أول من استعمل مفهوم التناص، فأثار اهتمام الباحثين في الغرب بحيوية الإجراءات التي تقوم عليها الدراسات المقارنة التي تتضمنه و التي يمكن أن تمثل تحولا منهجيا في نظرية التأثيرات، لكن عدم الدقة في تحديد المصطلح أدى إلى تعدد المسالك في فهمه و تطبيقه»[1].

ليختمر مصطلح التناص وينضج على يد الناقدة الفرنسية ذات الأصول البلغارية جوليا كريستيفا Julia) (Kristevaالتي مضت به أشواطا إلى الأمام ، فقد تبنت مصطلح (الحوارية) وأطلقته على الحوار الذي تقيمه النصوص فيما بينها ، ثم غيرته إلى: عبر النصوص ((Transtextualité، ثم إلى التصحيفية) (Paragrammatisme، ليظهر عندها فيما بعد باسم الامتصاص وذلك في قولها :«كل نص هو امتصاص أو تحويل لوفرة من النصوص الأخرى(كريستيفا، 1991، صفحة 78) » .

لتهتدي في الأخير إلى المصطلح الذائع الصيت و الأكثر حداثة وهو مصطلح التناص.) (L'intertextualité

كما يعد رولان بارث (RolanBarths) و ميخائيل ريفاتير (M. Refaterre)وجيرار جنيت (G.Genette) وجاك دريدا (J.Drida) وروبرت شولر ... (Robert Sholer) وغيرهم من أهم رواد التناص في الغرب.

اقتصر مفهوم التناص في أول الأمر على تعدد الأصوات في الشعر . أي الازدواج في النظم بين الإيقاع المجرد وبين أصوات الحروف نفسها، ثم تطور ليدل على تشابك المعاني الداخلية للكلمات مع معانيها، أو نظائرها، أو أقاربها في نصوص أخرى خارج القصيدة ثم اتسع معناه أخيرا في الدراسة السيميولوجية ليدل على التشابك بين النصوص . على أي مستوى . صوتيا كان ، أو دلاليا أو تركيبيا[2].

وعلى هذا فمعنى التناص هو وجود نص أصلي على علاقة بنصوص أخرى يتأثر بها بصورة مباشرة أو غير مباشرة، تتعاون فيما بينها لتشكل محتواه الذي يحتفظ بريادة المعنى، وعليه فهو تقنية يتحايل بها النص ليكسب ذاته تشكيلا وتداخلا مع نصوص تماهت فيما بينها فلم يبق منها إلا الأثر الذي يستقرئه القارئ الحذق(النموذجي أو فوق العادي) الذي يستطيع أن يكتشف ما وراء السطور، إذ يقبل على النص بمعرفة مسبقة تكسبه قدرة تأويلية تمكنه من تصعيد الدلالات والربط بين الأفكار للكشف عن البنى التحتية للنصوص وتعرية دواخلها المشكلة لمحتواه، الذي يعد في الأصل امتصاص لنصوص سابقة تشرب وتكون منها.

ثانيا: توظيف التناص في شعر عزالدين ميهوبي

وظف عز الدين ميهوبيالتناصالديني في خطابه الشعري مع النص القرآني ومع قصص لأنبياء في العديد من نصوصه الشعرية لفظا وأسلوبا ودلالة وهذا لسعة اطلاعه وشدة تأثرهبكتاب الله العزيز الحكيم .

-التناص مع القرآن الكريم:

يعد القرآن الكريم مصدر إلهام ومنبعا لا ينضب، يستقي منه الشعراء والمبدعون ما يشاؤون من المعاني والألفاظ والعبارات ليغذوا نصوصهم ويكسبوها مصداقية ورفعة.

فالتناص مع القرآن الكريم يعمق فضاءات المعنى ويجعله مفتوحا على التأويل والتفسير، باعتباره تداخلا لنصوص دينية بواسطة الاقتباس أو التضمين من القرآن الكريم مع العمل الإبداعي للشاعر، بحيث تنسجم معه، ليؤدي غرضا فكريا أو فنيا.

ومن تجليات التناصالقرآني قول عز الدين ميهوبي:

الوحدة ارتسمت و شمسا على الأفق
الـــكل مثــقف لكن على الورق
و الحرف يجمعنا لكن بمفتــرق
حتى المصير غـدا كالعلك في الشـدق
إنا تعوذ بـــــــر الناس و الفـلق
من شر مهلكـة تدنو من العنـق(ميهوبي، ديوان في البدء كـان أوراس، 1985)

في هذه الأبيات يقتبس ميهوبي جملا قرآنية من سورتي الناس :« قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ(سورة الناس، 1) »

والفلق: « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ»(سورة الفلق ، 4).

حيث يستجير ويتعوذ بهما من الشر الذي أصاب الأمة العربية (التفكك، الضياع، التشرذم...)

وقوله :

أوراس فجرني هواك و ما درق هذي الضلوع بأن جمرك ملهم

إني بأقبية الذهـول تهزنـــي ذكرى كما هزت بجذع مريم[3]

يتناص هذان البيتان مع قوله تعالى:« وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا» (سورة مريم ، 25) لجأ ميهوبي إلى هذا الاقتباس لتقارب الموقفين، فالسيدة مريم . عليها السلام - عندما جاءها المخاض وهي تحت جذع النخلة غمرتها مشاعر الدهشة والذهول والفرح... ، من عظمة الحال التي هي فيها، فالشاعر وهو يتذكر (الأوراس) وعظمته وكبرياءه غمرته ذات المشاعر: الدهشة، الذهول، الغبطة...، وكما شهدت النخلة ميلاد المسيح عيسى - عليه السلام- الذي بعثه الله سبحانه وتعالى ليحـرر النـاس من ظلمة الجهل والكفر، شهد الأوراس ميلاد الثورة المجيدة التي اندلعت لتحرر الشعب الجزائري الأبيّ من ظلم وظلام الاستعمار الغاشم وبطشه.

ويتكرر التناص مع سورة مريم في آية أخرى:

هز إليك بجذع العشق وانتبذي مدارج الشوق...إن الشوق مأواك (ميهوبي، ديوان عولمة الحب عولمة النار، 2002، صفحة 70)فعبارة "هز إليك بجذع" مقتبسة من الآية الكريمة سابقة الذكر (سورة مريم الآية25)، أما لفظة انتبذي فهي مقتبسة من قوله تعالى:« فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا »(سورة مريم، 22)

ومن نماذج التناصالمستقاة من القرآن الكريم نجد أيضا قوله:

ما الذي أكتبه

فالحرف معقود بأوهامي و صمتي

ودمي أوهن- حتى- من خيوط العنكبوت

ما الذي أملكه

لا شيء غير الخوف من ظلي

و من شيء نسميه السكوت (ميهوبي، ديوان اللعـنة والغفـران، 1997، صفحة 70)والذي اقتبسه من قوله تعـالى :« مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ »(سورة العنكبوت، 41)

حيث يشبه ميهوبي حاله الضعيفة الوهنة بضعف ووهن بيت العنكبوت. مثلما شبه به الله تعالى الذين اتخذوا غيره أولياء من دونه.

فقد أثرت فيه قوة التعبير والتصوير في الآية الكريمة فوظفها أحسن توظيف كما في هذه الأبيات التي استدعى فيها ميهوبي حدودا وجملا من القرآن الكريم:

أنا من بلاد

أينما وليت وجهي

أختفي في صوتها(ميهوبي، ديوان اللعـنة والغفـران، 1997، صفحة 19)

ونجد ذات الجملة (وليت وجهي) المقتبسة من قوله تعالى :« قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِالْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ »(**سورة البقرة**، 144)

في سياقات ومواضيع متعددة كقوله في قصيدة أخرىمن ديوان اللعنة و الغفران:

ربما وليت وجهي....شطر روما
و تعلقت بخيط من دخان
في جهات الأرض
أو أخطأت في نطق الشهادة
أو تضوعت بطين غير طيني
أنا ما بدلت ديني(ميهوبي، ديوان اللعـنة والغفـران، 1997، صفحة 44)

يستدعي ميهوبي في هذه الأبيات حدثا سياسيا مهما وهو اجتماع بعض الأحزاب الجزائرية بروما برعاية جمعية القديس ايجيديو من أجل إيجاد حلول فورية للأزمةالتي كانت تتخبط فيها الجزائر آنذاك (العشرية السوداء).

وقد اقتبس من القرآن الكريم جملة :" وليت وجهي شطر" حيث اقتبس اللفظ دون المعنى فكما أن المصلي والداعي إلى الله سبحانه وتعالى يولي وجهه إلى القبلة آملا أن تستجاب دعواته وصلواته، فالشاعر يود إخبارنا أن وجهته "روما" ما هي إلا سعي لتحقيق غايته ومن معه فمن أجل الجزائر هاهو يولي وجهه اتجاه روما .

ومن أمثلة التناص التي يقتبس فيها ميهوبي من القرآن الكريم جملا وحدودا مع تصرف بسيط خدمة للوزن أو القافية.

قوله:

وراح يهزأ بالقرآن يرفسه وقد تنامت هنا نفاثة العقد (ميهوبي، ديوان في البدء كـان أوراس، 1985، صفحة 19)يصف الشاعر من خلال هذا البيت الذي يتناص فيه مع الآية الكريمة :« وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ»(سورة الفلق ، 4).

فرنسا بالساحرة والمشعوذة ووصفه هذا لم يأت اعتباطا، بل له ما يبرر هـ، فبقاء فرنسا في الجزائر زائل لا محالة، لأن الله سيبطله مصداقا لقوله تعالىوَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى »(**سورة طه**، 69).

أين عراف المدينة
أتعبتني هذه الرؤيا
فألقيت عصايا
لم أجد غير بقايا الباب و الريح و ترنيمة ناي(ميهوبي، ديوان اللعـنة والغفـران، 1997، صفحة 32)

فالشاهد هنا في قوله: "ألقيت عصاي" والذي يتناص مع قوله تعالى :« وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ »(**سورة الأعراف**، 117).

وقد يتناص شعر ميهوبي مع القرآن الكريم باقتباس أية كاملة كما في قوله:

و النجم الثاقب
يحمل نحوك بعض الضوء
و يأفل(ميهوبي، ديوان في البدء كـان أوراس، 1985، صفحة 237)

فهو مقتبس من قوله تعالى :« وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ »(**سورة الطارق**، الآيات 01، 02، 03.) إن هذه الاقتباسات توحي بتجذر بذرة الإيمان عند الشاعر، وتنبض بحسه الديني، فنجده يستحضر الآيات والجمل القرآنية بسلاسة ويسر دون تصنع أو مغالاة، سواء أكان اقتباسا كاملا للآية، أم اقتباس المعنى مع بقاء كلمة دالة على الآية الكريمة.

التناص مع الأنبياء وقصصهم:

نوع آخر من التناصالقرآني يوظفه عز الدين ميهوبي و ينصب على الجانب القصصي منه، وذلك باستدعاء قصة أو شخصية معينة من القرآن الكريم وتوظيفها في نصوصه حيث تعد الشخصيات القرآنية " إحدىأدواتاستجلابالإبداع،والاستعانةللدخولإلىعوالمإبداعيةوالحصولعلىمعانجديدة (واصل، 2011، صفحة 151)

إناستدعاءالشخصياتالتراثيةوالرموزأمربارزفيشعرناالمعاصر،وهومايمنحالقصيدةفضاءشعريارحبا،وغنيا بالدلالاتوالإشارات،واستخداماالتراثأعطىالقصيدةالعربيةثوبافنياوبنائياجديدا،إذأصبحعنصرامهمافيتطويرالق صيدةالعربيةإنمعظمالشخصياتالتياستلهمهاالشعراءهيشخصياتدينيةتنتميإلىالموروثالدينيوهوأمرشّكلعلاقةبينال شاعروالمتلقي،وهذهالشخصياتمتغلغلةفيالوجدانلدىالشاعروالمتلقيعلىالسواء،وهذايعينالشاعرعلىنقلتجربتهوي حققللنصفعاليةكبيرة ومن أهم تلك الشخصيات والقصص الدينية:

1- قصة سيدنا آدم و أمنا حواء:

يستحضر ميهوبي قصة سيدنا وأمنا "آدم وحواء" التي وردت في القرآن الكريم في أكثر من سورة ، فتوظيف القصص القرآني و التناص معه يعد مصدرا ثريا من مصادر إلهام الشاعر " فكل من النبي والشاعر الأصيل يحمل رسالة إلى أمته ، والفارق بينهما أن رسالة النبي رسالة سماوية، وكل منهما يتحمل العنت والعذاب في سبيل رسالته... ولذلك أيضا دأب شعرا ؤنا المعاصرون على استعارة شخصيات الرسل ليعبروا من خلالها عن بعض أبعاد تجربتهم المعاصرة."(زايد، 2006، صفحة 59 60)

وقد سجل سيدنا آدم وأمنا حواء أكثر من حضور في أعمال الشاعر من ذلك قوله:

أغويتني...لم يكن للاثم داليـــة ولم يكن غيرنا في دير نسـاك

أغويتني...هل دمي يكفي لفديته ما عدت أملك في دنياي إلاك

حواء كوني فذي تفاحة طلعت بين الضلوع...و إني آدم الباكي (ميهوبي، ديوان منافـي الـــروح، 2007، صفحة 146)

و قوله:

وشمت في مهجتي من فرط ما اعتصرت الإثم دالية...و العتق تفـاح

حواء تطلـــع من تـــوت يزينـــــها و أدم احترقت في سرجه سراح(ميهوبي، ديوان منافـي الـــروح، 2007، صفحة 76)

إن الشاعر في هذه الأبيات يتحدث عن الغواية التي حدثت في الجنة حينما وسوس الشيطان لأمنا حواء وسيدنا آدم لأكل التفاحة من الشجرة التي نهاهما الله تعالى عن الأكل منها ، وجزاء لعصيانهما أمر الله تعالى أن يهبطا إلى الأرض بعد أن كانا في الجنة، ليبقى سيدنا آدم نادما على إثمه راجيا من الله تعالى التوبة والغفران.

يقول تعالى : «فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ »(سورة البقرة، 36.)

2- قصة سيدنا يوسف:

يظهر التناص مع قصة سيدنا يوسف عليه السلام جليا من خلال هذه الأمثلة:

مثال 01:

أنت القصيدة يا زليخة

لست يوسف

لا ولا حتى "العزيز"

و لست أكثر من فتى

في صدره دفء الحروف(ميهوبي، ديوان عولمة الحب عولمة النار، 2002، صفحة 31)مثال 02:

رأيت يوسف من حقد

إخوته

وكان قميصه المذبوح

يسكب دمعتين بقعر جب(ميهوبي، ديوان عولمة الحب عولمة النار، 2002، صفحة 155)

في هذه الأبيات يستحضر الشاعر موقفين او حادثتين . إن شئنا القول . وقعتا لسيدنا يوسف عليه السلام، ففي المثال الأول يتناص الشاعر مع حادثة إغواء زليخة زوجة العزيز لسيدنا يوسف عليه السلام،والتي سجن بسببها بعد تعففه ورفضه إلى ما دعته إليه.

يقول تعالى :« وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ »(سورة يوسف، 23.).

اقتبس الشاعر من القرآن الكريم أهم شخصيات هذه القصة (زليخة، يوسف، العزيز) غير أنه ألبسها (القصة) ثوبا جديدا ودلالات مغايرة، بل نقيضة وذلك بعد أن أدخل عليها صيغة النفي (لست يوسف لا ولا حتى العزيز)، وجعل من زليخة التي كانت رمزا للغواية وسببا للظلم الذي تعرض له يوسف عليه السلام، رمزا للاحترام والمحبة (أنت القصيدة يا زليخة) وهو بذلك لا ينقل لنا دلالة القصة كما وردت في القرآن الكريم، بل يتجاوزها إلى سواها ليخدم اللحظة الراهنة والمخاض الفني الجديد، فزليخة التي يقصد في أبياته هي الشاعرة زليخة السعودي* التي عرفت بعفتها وحشمتها وأدبها الرفيع، فرغم أن الموت قد غيبها إلا أنها ظلت حاضرة في كتابات الشاعر.

كما يستحضر في المثال الثاني ما حدث بين سيدنا يوسف عليه السلام وبين إخوته الذين رموه في الجب غيرة وحسدا لمكانته عند أبيه .

يقول تعالى :« (9) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ »(سورة يوسف، 10.)

وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ»(سورة يوسف، 18.)

وقد اقتبس ميهوبي من القصة إضافة إلى المعنى العام: كلمات مفاتيح دالة عليها هي (يوسف، إخوته، قميصه، قعر الجب) .

3- قصة سيدنا موسى:

تعتبر قصة سيدنا موسى عليه السلام من القصص القرآني التي تزخر بالعبر والمواعظ فموسى واحد من الرسل الذين بشروا بقيم سماوية نبيلة، وتحملوا في سبيل دعوتهم الكثير من العنت و التضحيات.

فهو كليم الله وهازم فرعون وسحرته، وقد أيده الله بالألواح، وأعطاه من الآيات والمعجزات ما لم يعط أحدا من العالمين.

يقول سبحانه وتعالى:« ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (103) وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (104) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (105) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (106) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (107) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (108) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (109) »(سورة الأعراف، 109ا.).

يقول الشاعر:

يا هازم الطاغوت معذرة يا من فلقت البحر و السحرا
إني رأيت اليوم مهزلة هات العصا فالقدس قد أسرا
إن النجاة اليوم يا وطني بالله و الصمصام إن شهرا (ميهوبي، ديوان في البدء كان أوراس، 1985، صفحة 198)تتناص هذه الأبيات مع قصة سيدنا موسى عليه السلام في أكثر من آية، وتستحضر إلى أذهاننا أكثر من معجزة رغم أن الشاعر لم يصرح باسم موسى عليه السلام ولا باسم فرعون . لعنه الله . بل اكتفى بوصفهما، ففي صدر البيت الأول يصف سيدنا موسى عليه السلام بهازم الطاغوت، فالطاغوت هنا هوفرعون، يقول تعالى:« اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى» (**سورة طه، 24**)وقوله عز وجل: « اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى»(**سورة طه**، 45) .

وهازمه والمنكل به هو سيدنا موسى عليه السلام مصداقا لقوله تعالى :«وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى »(**سورة طه**، 77)

وهو ما عبر عنه ميهوبي في عجز البيت الأول حين وصف سيدنا موسى عليه السلام بفالق البحر: يا من فلقت البحر و السحر

و بفالق السحر لقوله عز من قائل:« وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى »(**سورة طه**، 69، 70)

وفي البيت الثاني ، يذكر الشاعر عصا سيدنا موسى عليه السلام التي تتناص مع قوله تعالى: « وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (19) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى»(**سورة طه**، 20)

فقد كان سيدنا موسى يستخدمها في كل مرة يأمره الله فيها بذلك، فيأتي بمعجزة تدحض قول الكافرين المكذبين ويطمئن المصدقين ويزيدهم إيمانا ويقينا، ويهدف ميهوبي من خلال ذكرها وتوظيفها في أبياته أن يشبه لنا ما يحدث في القدس الشريف بما حدث مع سيدنا موسى عليه السلام وقومه ، فالعدو واحد، طاغية، كافر، متجبر، والعذابات واحدة ،ظلم، تجبر، استعباد...، وسبيل النجاة واحد الوقوف في وجه الظالم ومحاربته بعد التوكل على الله نعم المولى ونعم الوكيل .

4-قصة سيدنا عيسى:

يحضر نبي الله عيسى عليه السلام في شعر ميهوبي إما مرتبطا بأمه مريم سلام الله عليها وإما مستقلا عنها، كقوله:

أمـد يبني خلي البكاء هيامـــا لأصوغ من شعر الحياة خياما
و ملائك العرش العلي حزينـــة حيري تلاحق في البروج غمامـا
وجراح عيسى في الصليب ندية سكـرى تسامر ليلها تتنامـــى

رغم أن شاعرنا يعي تماما بل يؤمن ككل المسلمين أن النبي عيسى . عليه السلام- لم يصلب بل هيئ لبني إسرائيل أنهم صلبوه.

يقول تعالى:« وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا »(سورة النساء، 157)

إلا أنه يوظف هذه الصورة (صلبة) لدلالة خفية غير ظاهرة، وهي أن ما يصنعه الإسرائيليون في مدينة الأقصى اليوم هو صلب للمسيح عيسى بن مريم، فلن تشفى جراحه ولن يتحرر من الصليب إلا بتحرر

فلسطين، هو امتداد لعذابات عيسى عليه السلام فكل يوم يمر والصهاينة جاثمون على أنفاس أولى القبلتين وثاني الحرمين.

5-قصة سيدنا أيوب:

ارتبط اسم سيدنا أيوب عليه السلام بالصبر، حيث ابتلاه الله في ماله وولده، وصحته وأهله يقول تعالى :« وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (84) »

فضل صابرا مستغفرا، راضيا بما كتبه له ربه داعيا ومتضرعا له.

قوله تعالى : «وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (41) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (42) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (43) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ »(سورة ص، 41،42،43)لذا نجد عز الدين ميهوبي يلجأ إلى قصة سيدنا أيوب فيقتبس منها حينما يريد الحديث عن الصبر والتجلد من ذلك نجد قوله:

قريبا من النهر
أبصرت شمعة
وطفلا و أنيتين و دمعة
و سيدة في الملاءة
تسبح الله وتجدل من عمر أيوب عمرا جديدا
و تعجن من سورة الصبر فاكهة للبراءة (ميهوبي، ديوان عولمة الحب عولمة النار، 2002، صفحة 56)و قوله:

وكأنك لم تكن جبلا وريحا وموالا يرف على النخيل
كأنك لم تكن أيوب يوما و لم تصبر على الموت الثقيل (ميهوبي، ديوان منافي الـــروح، 2007، صفحة 35)

يوظف الشاعر شخصية سيدنا أيوب عليه السلام للدلالة على الصبر والتحمل وقوة الإيمان ، وللدلالة أيضا على اليسر بعد العسر، والفرج بعد الشدة، ففي قوله: (وتجدل من عمر أيوب عمرا جديدا) دعوة إلى تغير الأحوال إلى الأحسن والتبشير بغد أفضل حيث يصف الشاعر في هذه الأبيات ماحل بأبناء بلده (الجزائر)في فترة الإرهاب والعشرية السوداء .

نستخلص مما تقدم أن عزالدين ميهوبي قد نوع في تناصه مع قصص القرآن الكريم ووظفها بعناية فائقة، بحيث تخدم المعنى المراد إيصاله ولا تحيد عليه، فلا يشعر القارئ بالحشو في كلامه، أو أن شعره حاد عن مساره وتحول إلى قصص محرف ومنزاح (مشوه) عما هو عليه في الأصل فاقتباسه ورد في السياق والموقف المناسب، كما ربط نصوصه بالثقافة والديانة التي تنتمي إليها.

الخاتمة:

بعد رحلة البحث والتفتيشفي دهاليز نصوص ميهوبي الشعرية، تبين لنا أن الشاعر، قد توسل التناص الديني لتجسيد رؤياه بعد أن فقه تلك النصوص المتناص معها جيدا، وتذوقها وتشرب من معانيها، ليأخذ منها فيما بعد ما يخدم نصوصه، فيتداخل معها وينحرف بها لدلالات جديدة يولدها من هذا التفاعل النصي.

ولعل الشاعر عز الدين ميهوبي واحد من أهم الشعراء الذين وظفوا التناص الديني توظيفا مناسبا في أشعارهم، إذ جعل تلك الاقتباسات تتماشى مع الوضعيات والسياقات الراهنة لعصره، متجاوزا إطارها الأول، ومتساميا بها إلى إطار الفن الذي جعلها أداة طيعة يشكلها كيفما شاء، لأن « أهم ما يميز عبقرية الإبداع الشعري عند الشاعر هو قدرته على التذكر والتذكر المقترن بالتأمل، فكلاهما يقيم ديمومة الاتصال الحي بين الشعور واللاشعور لينتج الحس الشعري»(السعدني، 1987، صفحة 54).

وكانتشخصياتالأنبياءوالرسلواحدةمنأهمالشخصياتالتياستلهمهاشاعرنافصنعهاأصواتاومضامينواأهدافا متوخاة،وعبرمنخلالهاعنتجربتهورؤاهوأبعادهالفكريةوفقالتصويرهالخاص،وعلىنحويتضمنالتواصلوالاستمراريةب ينزمنيالأنبياء "الماضي "وزمن الشاعر "الحاضر " فحقق هذا الأمرلشاعرناالانفلاتيةمنالذاتيةإلىالموضوعيةوتحويلهاوتعميقهاإلىأنتصبحتجربةعامة (الدهون، 2005، صفحة 144)

فأعطى كل ذلك نصوصه قيما بلاغية وجمالية زادت من شاعريته وحققت درجة عالية من فاعلية التأثير لدى المتلقي.

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم

جوليا كريستيفا. (1991). *علم النص*. الدار البيضاء المغرب: دار توبقال للنشر.

عز الدين ميهوبي. (1985). *ديوان في البدء كـــان أوراس*. باتنة الجزائر: منشورات الشهاب.

عز الدين ميهوبي. (2002). *ديوان عولمة الحب عولمة النار*. سطيف الجزائر : منشورات اصالة.

عز الدين ميهوبي. (1997). *ديوان اللعـــنة والغفـــران*.سطيف ،الجزائر،: منشورات اصالة .

عصام حفظ الله واصل. (2011). *التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر*. عمان: دار غيداء.

علي عشري زايد. (2006). *استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر*. القاهرة، مصر،: دار غريب للطباعة.

عز الدين ميهوبي. (2007). *ديوان منافـــــي الـــــــــــروح*.الجزائر: ، منشورات تالة .

مصطفي السعدني. (1987). *التصور الفني في شعر محمد حسن اسماعيل*. الاسكندرية: منشأة المعارف.

إبراهيم مصطفى محمد الدهون. (2005). *التناص في شعر أبي العلاء المعري*. الاردن: عالم الكتب.